

صيد الخاطر

296 - - فصل : إنما تؤتى البيوت من أبوابها .

شكا لي رجل من بغضه لزوجته ثم قال : ما أقدر على فراقها لأمر منها كثرة دينها علي و صبري قليل و لا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى و في كلمات تعلم بغضي لها .
فقلت له : هذا لا ينفع و إنما تؤتى البيوت من أبوابها فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك فتبالغ في الاعتذار و التوبة .

فأما الضرر و الأذى لها فما ينفع كما قال الحسن بن الحجاج : [عقوبة من ا] لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف و قابلوها بالإستغفار [.
و اعلم أنك في مقام مبتلي و لك أجر بالصبر { و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم } .
فعامل ا] سبحانه بالصبر على ما قضى و إسأله الفرج .

فإذا جمعت بين الاستغفار و بين التوبة من الذنوب و الصبر على القضاء و سؤال الفرج حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل منها .

و لا تضع الزمان بشيء لا ينفع و لا تحتل طائنا منك أنك تدفع ما قدر { و إن يمسسك ا] بضر فلا كاشف له إلا هو } .

و قد روي أن جنديا نزل يوما في دار أبي يزيد فجاء أبو يزيد فرآه فوقف و قال لبعض أصحابه : أدخل إلى المكان الفلاني فاقلع الطين الطري فإنه من وجه فيه شبهة فقلعه فخرج الجندي .

و أما أذاك للمرأة فلا وجه له لأنها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا .
و قد روي عن بعض السلف أن رجلا شتمه فوضع خده على الأرض و قال : [اللهم إغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي] .

قال الرجل : و هذه المرأة تحبني زائدا في الحد و تبالي في خدمتي غير أن البغض لها مركوز في طبعي .

قلت له : فعامل ا] سبحانه بالصبر عليها فإنك تثاب .
و قد قيل لأبي عثمان النيسابوري : ما أرجى عملك عندك ؟ .
قال : كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فأبى .
فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان إني قد هويتك و أنا أسألك با] أن تتزوجني .
فأحضرت أباها - و كان فقيرا - فزوجني و فرح بذلك .
فلما دخلت إلي رأيته عوراء عرجاء مشوهة .

و كانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج فأقعد حفظا لقلبها و لا أظهر لها من البغض شيئا و
كأني على جمر الغضا من بغضها .
فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظي لقلبها .
قلت له : فهذا عمل الرجال و أي شيء ينفع ضجيج المبتلي بالتضجر بإظهار البغض .
و إنما طريقه ما ذكرته لك من التوبة و الصبر و سؤال الفرج .
و تذكر ذنوبا كانت هذه عقوبتها .
فإن وقع فرج في الحساب و إلا فإستعمال الصبر على القضاء عبادة .
و تكلف إظهار المودة لها و إن لم تكن في قلبك تثبت على هذا .
و ليس للقيد ذنب فيلام إنما ينبغي التشاغل مع من قيده و السلام